القسم الأول

مقدمة التحقيق

(أ) التعريف بالمؤلف :

هو أبو اليسر : إبراهيم بن محمد [1] الشيبانى البغدادى المعروف بالرياضى الكاتب ، أصله من بغداد ، وقدم الأندلس واستقر فى القيروان فترأس ديوان الإنشاء لبنى الأغلب ، ثم للفاطميين ، إلى أن توفى يوم الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، ودفن بباب سالم ؛ وكان - رحمه الله - ظريفًا ، أديبًا ، مراسلاً ، شاعرًا ، حسن التأليف [2].

(ب) آثاره :

« له مؤلفات حسان فى فنون العلم » [3] ، منها :

١- سِرَاجُ الهُدَى (فى معانى القرآن ومشكله وإعرابه) :

ذكره ابن عذارى فى البيان المغرب : ١٦٣/١ ، وقال : « كتاب فى القرآن»، والبغدادى فى إيضاح المكنون : ٩/٢ ، وقال: « فى القرآن ومشكله وإعرابه » والزركلى فى الأعلام : ٦٠/١ ، وقال : « فى معانى القرآن

---

(١) فى إيضاح المكنون : ٥٧٠/١ ، ٩/٢ ، ٢٣٤ ، ٤٠٨ ، ومعجم المؤلفين : ٥/١ « إبراهيم بن أحمد » .

(٢) انظر فى ترجمته : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب : ١٦٢- ١٦٣ (لابن عذارى)، وإيضاح المكنون : المواضع السابقة ، والأعلام: ٦٠/١ (عن مخطوطة صدور الأفارقة) ، ومعجم المؤلفين : ٥/١، ٩٧ .

(٣) البيان المغرب : ١٦٣/١ .

وإعرابه » ، وكحالة فى معجم المؤلفين : ٥/١ ، ٩٧ ، وقال : « كتاب فى القرآن ».

٢- قُطْبُ الأَدَبِ :

ذكره ابن عذارى فى البيان المغرب : ١ / ١٦٣ ، والبغدادى فى إيضاح المكنون : ٢ / ٢٣٤ ، والزركلى فى الأعلام : ١ / ٦٠ ، وكحالة فى معجم المؤلفين : ١ / ٩٧ .

٣- لقط المرجان (فى الأدب) :

ذكره ابن عذارى فى البيان المغرب : ١ / ١٦٣ بعنوان: " لقيط المرجان "، والبغدادى فى إيضاح المكنون : ٢ / ٤٠٨ ، والزركلى فى الأعلام : ١ / ٦٠، وكحالة فى معجم المؤلفين : ١ / ٥ بعنوان " لقط المرجان " ومعجم المؤلفين : ١ / ٩٧ بعنوان : « لقيط المرجان ».

٤- المرصَّعة والمدبَّجة :

ذكرها كحالة فى معجم المؤلفين : ٥/١ .

٥ - مُسند فى الحديث :

ذكره ابن عذارى فى بيان المغرب : ١٦٣/١ ، والزركلى فى الأعلام : ٦٠/١ ، وكحالة فى معجم المؤلفين ٩٧/١ .

٦- الوحيدة والمؤْنِسةُ (رسالة) :

ذكرها ابن عذارى فى البيان المغرب : ١٦٣/١ ، والبغدادى فى إيضاح المكنون : ٥٧٠/١ ، وكحالة فى معجم المؤلفين : ٩٧/١ .

٧- وله أشعار :

أشار ابن عذارى فى البيان المغرب : ١٦٢/١ إلى أنه شاعر ، وكذلك كحالة فى معجم المؤلفين : ٩٧/١ ، وفى معجم المؤلفين : ٥/١ قال : « وله أشعار » .

(ج) الكتب والرسائل المؤلفة فى صناعة الكتاب :

١- رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتَّاب :

تأليف : عبد الحميد بن يحيى العامرى المعروف بالكاتب (المتوفى سنة ١٣٢هـ) .

وردت الرسالة فى كتاب : الوزراء والكتاب : ٧٣- ٧٩ ، ومقدمة ابن خلدون : ٢٧٥ ، وصبح الأعشى : ٨٥/١-٨٩ ، والتذكرة الحمدونية: ٣٤٢/١ -٣٤٧ الفقرة رقم : ٨٧٠ ، ورسائل البلغاء : ٢٢٢-٢٢٦، وجمهرة رسائل العرب : ٤٥٥/٢- ٤٦٠ .

٢- ذم أخلاق الكتاب :

تأليف : أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥هـ)

نشرت بتحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ضمن كتاب : رسائل الجاحظ ، الجزء الثانى ، مكتبة الخانجى سنة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

٣- كتاب الكُتَّاب ، وصفة الدواة والقلم وتصريفها :

تأليف : عبد الله بن عبد العزيز البغدادى (المتوفى بعد سنة ٢٥٦هـ)

تحقيق الأستاذ : هلال ناجى ، نشر فى مجلة المورد العراقية ، المجلد الثانى ، العدد الثانى ، بغداد سنة ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.

٤- أدب الكاتب :

تأليف : أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (المتوفى سنة ٢٧٦هـ)

تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٣م.

وقد حظى الكتاب بكثير من الشروح ، فمن العلماء من شرحه كله، وهم:

- إسحاق بن إبراهيم الفارابى (المتوفى سنة ٣٥٠هـ) .
- أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى (المتوفى سنة ٥٢١هـ) .

وهو بعنوان : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ، مطبوع بتحقيق : مصطفى السقا ، وحامد عبد المجيد ، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨١م.

- أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى (المتوفى سنة ٥٣٩هـ) .

وهو بعنوان : شرح أدب الكاتب ، مطبوع بتقديم : مصطفى صادق الرافعى ، دار الكتاب العربى ، بيروت بلا تاريخ .

- أبو على الحسن بن محمد البطليوسى (المتوفى سنة ٥٧٦هـ) .
- أحمد بن داود الجذامى (المتوفى سنة ٥٩٨هـ) .

ومنهم من شرح مقدمته فقط ، وهم :

- أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى (المتوفى سنة ٣٤٠هـ) .

وهو بعنوان : تفسير رسالة أدب الكتاب ، مطبوع بتحقيق الدكتور :

عبد الفتاح السيد سليم ، معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

- أبو بكر محمد بن عبد العزيز بن القوطيَّة (المتوفى سنة ٣٦٧هـ) .
- عبد الباقى بن محمد (المتوفى سنة ٣٩٠هـ) .
- مبارك بن فاخر النحوى (المتوفى سنة ٥٠٠هـ) .

ومنهم من شرح أبياته الشعرية ، وهم :

- أحمد بن محمد الخازرنجى (المتوفى سنة ٣٤٨هـ) .
- أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى (المتوفى سنة ٥٢١هـ) .

شرح الأبيات فى القسم الثالث من كتابه : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب .

٥- رسالة الخط والقلم :

المنسوبة إلى أبىْ محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (المتوفى سنة ٢٧٦هـ) .

تحقيق الأستاذ : هلال ناجى ، مجلة المورد ، المجلد التاسع عشر ، العدد الأول سنة ١٩٩٠م.

تحقيق الدكتور : حاتم صالح الضامن ، نشرت ضمن كتاب : نصوص محققة فى اللغة و النحو ، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى جامعة بغداد، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر سنة ١٩٩١م.

٦- الرسالة العذراء :

وسوف نفردها بحديث خاص.

٧- كتابة الخط :

تأليف أبى بكر بن السراج (المتوفى سنة ٣١٦هـ) .

تحقيق : عبد الحسين محمد الفتلى ، مجلة المورد ، المجلد الخامس، العدد الثالث سنة ١٩٧٦م.

٨- أدب الكتاب :

تأليف أبى بكر الصولى (المتوفى سنة ٣٣٥هـ) .

تحقيق : محمد بهجة الأثرى ، نظر فيه : محمود شكرى الآلوسى ، بغداد، المكتبة العربية ، القاهرة، المطبعة السلفية سنة ١٣٤١هـ = ١٩٢٢م.

٩- الخراج وصناعة الكتابة :

تأليف أبى الفرج قدامة بن جعفر بن زياد (المتوفى سنة ٣٣٧هـ) .

تحقيق الدكتور : محمد حسين الزبيدى ، دار الرشيد، العراق سنة ١٩٨١م.

١٠- كتاب الخط :

تأليف أبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى (المتوفى سنة ٣٤٠هـ) .

تحقيق : غانم قدورى الحمد ، نشر فى مجلة المورد ،المجلد التاسع عشر، العدد الأول سنة ١٩٩٠م.

١١- صناعة الكُتَّاب :

تأليف أبى جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (المتوفى سنة ٣٣٨هـ) .

نشرت أجزاء منه بعنوان : نصوص باقية من صناعة الكتاب ، جمع وتعليق : أحمد نصيف الجنابى ، بغداد ، مجلة المؤرد ، المجلد الثانى ، العدد الثانى سنة ١٩٧٣م.

ونشر الكتاب كاملاً بتحقيق الدكتور : بدر أحمد ضيف ، دار العلوم العربية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠م.

١٢- الكُتَّاب :

تأليف عبد الله بن جعفر بن درستويه (المتوفى سنة ٣٤٧هـ) .

تحقيق : لويس شيخو ، مجلة المشرق ، بيروت سنة ١٩٢٧م.

تحقيق : الدكتور إبراهيم السامرائى ، والدكتور : عبد الحسين الفتلى ، دار الكتب الثقافية ، الكويت سنة ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

١٣- رسالة فى علم الكتابة :

تأليف : أبى حيان التوحيدى (المتوفى سنة ٤١٤هـ)

تحقيق : إبراهيم الكيلانى ، دمشق ، المعهد الفرنسى للدراسات العربية ،

بيروت ، المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٥١م ، ودار طلاس للداسات والترجمة والنشر سنة ١٩٨٥م.

١٤- موادُّ البيان :

تأليف : على بن خلف الكاتب (المتوفى بعد سنة ٤٣٧هـ) .

تحقيق : الدكتور حسين عبد اللطيف ، منشورات جامعة الفاتح، سنة ١٩٨٢م.

١٥- إحكام صنعة الكلام :

تأليف : أبى القاسم محمد بن عبد الغفور الكُلاعىّ الإشبيلى (المتوفى سنة ٥٤٣هـ)

تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٦٦م ، الطبعة السادسة سنة ١٩٨١م.

١٦- معالم الكتابة ومغانم الإصابة :

تأليف : عبد الرحيم بن على الإسنائى القوصى، جمال الدين بن شيث القرشى (المتوفى سنة ٦٢٥هـ) .

تحقيق : قسطنطين الباشا المخلصى ، بيروت ، المطبعة الأدبية ، ١٩١٣م.

١٧- منهاج الإصابة فى معرفة الخطوط وآلات الكتابة :

تأليف محمد بن أحمد الزفتاوى (المتوفى سنة ٨٠٦ هـ) .

تحقيق : الأستاذ هلال ناجى ، مجلة المورد العراقية ، المجلد الخامس عشر ، العدد الرابع سنة ١٩٨٦م.

١٨- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا :

تأليف أحمد بن على القلقشندى (المتوفى سنة ٨٢١ هـ) .

تحقيق : مركز تحقيق التراث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٩- تحفة أولى الألباب فى صناعة الخط والكتاب :

تأليف عبد الرحمن يوسف بن الضائع (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ) .

تحقيق : الأستاذ هلال ناجى ، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م.

وهناك بعض الكتب اعتنت بتقديم جمل جاهزة يهتدى بها الكتاب فى صناعتهم ، من هذه الكتب :

١- كتاب الألفاظ :

تأليف أبى يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت (المتوفى سنة ٢٤٤هـ).

تحقيق : لويس شيخو ، الطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٨٩٥م.

٢- الألفاظ الكتابية :

تأليف : عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى (المتوفى سنة ٣٢٠هـ) .

تحقيق : البدراوى زهران ، القاهرة ، دار المعارف ، مطابع سجل العرب سنة ١٩٨١م.

٣- جواهر الألفاظ :

تأليف أبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى (المتوفى سنة ٣٣٧هـ).

تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة، سنة ١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م ، ودار الكتب العلمية، سنة ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(د) التعريف بالرسالة العذراء :

لا نعرف للرسالة العذراء إلا نسخة واحدة مخطوطة ، وهذه النسخة هى التى اعتمد عليها الأستاذ : محمد كرد على [١] فى نشرته الأولى للرسالة ولم يعتمد عليها أحد ممن نشروا الرسالة بعد ذلك ، ولكنهم اكتفوا بالنشرة الأولى واعتمدوها أصلاً فى تحقيقهم ، مما أوقعهم فى كثير من الأخطاء التى نتجت عن سوء القراءة فى الطبعة الأولى ، كما سيتضح من خلال عرضنا لهذه النسخ :

أولاً : النسخة المخطوطة :

ضمن مخطوطة مودعة فى دار الكتب المصرية تشتمل على مجموعة من الرسائل ، تحت رقم : ٨٠ مجاميع تيمور ، ميكرو فيلم : ١٨٢٠٣، وهذه المخطوطة تتكون من إحدى عشرة رسالة فى : ١٣٨ ورقة ، مرقمة من الورقة : ٢٥٠ إلى الورقة : ٣٧٨ ، ومساحة الصفحة : ١٧ × ١٠,٥سم ، ومساحة الكتابة : ١٢×٦سم ، وعدد سطور الصفحة تسعة عشر سطرًا ،

(١) هو : محمد بن عبد الرازق بن محمد ، كُرْد على ، رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق ومؤسسه ، وصاحب مجلة « المقتبس » والمؤلفات الكثيرة ، أصله من أكراد السليمانية (من أعمال الموصل) ومولده ووفاته فى دمشق ، أما حياته العلمية فكانت سلسلة متصلة الحلقات من بدء نشوئه واتصاله بالشيخ « طاهر الجزائري » ، إلى يوم وفاته سنة ١٣٧٢هـ، الأعلام : ٢٠٢/٦ -٢٠٣ .

والكتابة مجدولة بالمداد الأحمر، والهوامش عراض ، وبها حواش قليلة ، وقد أشار فؤاد سزكين إلى أن رسالة : « المعجم فى بقية الأشياء » لأبى هلال العسكرى (المتوفى بعد سنة ٣٥٩هـ) ، والموجودة فى هذه المخطوطة «من القرن العاشر للهجرة » [١] ؛ فيكون هذا القرن هو تاريخ كتابتها .

وورق هذه المخطوطة معتاد قديم قلما تخلو ورقة فيه من ثقوب ، أما الخط ففارسى جميل مكتوب بعناية وأناقة ، مع اهتمام واضح بالتنسيق، والفواصل بالمداد الأحمر ، ومن مميزات خطها : وضع ثلاث نقط تحت السين المهملة ، وقصر الممدود والمجموعة تتضمن إحدى عشرة رسالة ، هى على الترتيب [٢] :

١- رسالة الطيب بن على إلى بعض أهل الأدب : (٢٥٠- ب: ٢٦٤ - أ).

٢- رسالة فى مدح العدل وذم الظلم : (٢٦٤ - أ: ٢٧٣ -أ).

٣- رسالة فى ذم الكبر : (٢٧٣- أ : ٢٨٢ -أ).

٤- رسالة فى فضل العطاء على العسر : (٢٨٢ -أ : ٢٩٦ -ب).

٥- رسالة فى التفضيل بين بلاغتى العرب والعجم : (٢٩٦ -ب : ٣٠٢ -ب).

٦- رسالة فى الحث على طلب العلم والاجتهاد فى جمعه (٣٠٢- ب: ٣١٦-أ).

---

(١) تاريخ التراث العربى (المجلد الثامن) : ١/٣٣١ .

(٢) انظر وصف الدكتورة : عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) لهذه المجموعة فى مقدمة تحقيقها لرسالة « ابن القارح » وهى الرسالة التاسعة فى المخطوطة ، مع تحقيقها لرسالة الغفران لأبى العلاء المعرى (٣٦٣-٤٤٩هـ) الطبعة الثامنة دار المعارف ١٩٩٠ م «بتصريف».

٧- رسالة المعجم فى بقية الأشياء : (٣١٦ -أ : ٣٥٥- ب).

وهذه الرسائل الست من رقم (٢ : ٧) لأبى هلال العسكرى .

٨- الرسالة العذراء فى موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، لأبى اليسر إبراهيم بن محمد الشيبانى : (٣٣٥ - أ : ٣٤٩ -ب) .

٩- رسالة لبعض الفضلاء ، كتبها إلى أبى العلاء المعرى : (٣٤٩- ب : ٣٦٤- ب) .

١٠- رسالة فى النساء المتزوجات من قريش : (٣٦٥ -أ : ٣٧٦ -أ) .

١١- رسالة لأبى بكر الخوارزمى ، كتبها إلى جماعة الشيعة لما قصدهم بنيسابور : (٣٧٦ - أ : ٣٨٣-ب) .

ثم ختمت هذه المجموعة ببعض الأشعار والأقوال : (٣٨٣ -ب : ٣٨٧ -ب).

وعلى صفحة الفهرست توقيع الشيخ : طاهر الجزائرى [١] سنة ١٣١١هـ[٢] .

وواضح أن « الرسالة العذراء » هى الرسالة الثامنة من رسائل هذه المخطوطة ، وهى تقع فى خمس عشرة ورقة ، من الورقة (٣٣٥-أ) إلى الورقة (٣٤٩-ب)، وقد رمزت لهذه النسخة « بالأصل المخطوط » .

---

(١) هو : طاهر بن صالح (أو محمد صالح) بن أحمد بن موهوب السمعونى الجزائرى ، ثم الدمشقى ، بحاثة من أكابر العلماء باللغة والأدب فى عصره ، أصله من الجزائر ، ومولده ووفاته فى دمشق ، كان كلفًا باقتناء المخطوطات والبحث عنها ، فساعد على إنشاء « دار الكتب الظاهرية » فى دمشق ، وجمع فيها ما تفرق فى الخزائن العامة ، وساعد على إنشاء (المكتبة الخالدية) فى القدس ، وانتقل إلى القاهرة سنة ١٣٣٥هـ ، ثم عاد إلى دمشق سنة ١٣٣٨هـ ، فكان من أعضاء المجمع العلمى العربى ، وسمى مديرًا لدار الكتب الظاهرية ، وتوفى بعد ثلاثة أشهر وذلك سنة ١٣٣٨هـ . الأعلام : ٢٢١/٣ - ٢٢٢ .

(٢) انظر مقدمة تحقيق رسالة الغفران : ١٧ .

ثانيًا : النسخ المطبوعة :

الطبعة الأولى : نشرت ضمن كتاب « رسائل البلغاء » جمع الأستاذ : «محمد كرد على » ، طبع مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م ، والطبعة الثانية سنة ١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م.

وقد نسبت « الرسالة العذراء » فى هذه الطبعة إلى : أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر (المتوفى سنة ٢٧٩هـ) [١] ، وقال الأستاذ : « محمد كرد على » ، فى صدر الطبعة : إنها « منقولة من مجموع قديم من كتب الشيخ : « طاهر الجزائرى » ، (وقال:) وقد طبقناها على الأصل ، ولم نظفر بنسخة ثانية لها » [٢] .

ويظهر من خلال هذه العبارة أن الأستاذ : « محمد كرد على » ، اعتمد على الأصل المخطوط السابق فى نشرته ، ولكنه أخطأ فى نقل صدر المخطوطة التى تبدأ بقول المؤلف أو الناسخ : « الرسالة العذاء فى : موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، كتب بها أبو اليسر : إبراهيم بن محمد الشيبانى إلى : إبراهيم بن محمد بن المدبر » ، نقلها بصورة مشوهة أدت إلى الخطأ فى نسبة الرسالة ، وذلك عندما غيرها إلى : « الرسالة العذراء فى موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، كتب بها أبو اليسر إبراهيم بن محمد ابن المدبر ».

---

(١) كان ابن المدبر وزيرًا من الكتاب المترسلين الشعراء ، من أهل بغداد ، تولى ولايات جليلة ، واستوزره المعتمد العباسى لما خرج من سامراء يريد مصر ، وتوفى ببغداد متقلدًا ديوان الضياع للمعتضد ، الأعلام : ٦٠/١

(٢) انظر رسائل البلغاء : ١٧٦ .

وقد هالنى هذا الخطأ عندما بدأت أقابل النسخة المطبوعة بالمخطوطات الأصلية للرسالة ؛ ـ حتى ذلك الحين ـ لم يدر بخلدى أن الرسالة العذراء منسوبة إلى غير صاحبها ، وأن هذا الخطأ فى نسبتها ظل ما يقرب من قرن من الزمان ، كانت الرسالة العذراء فيه مصدرًا أصيلاً من مصادر تراثنا النقدى ، أفاد منه جمهور الباحثين فى شتى بقاع الأرض، وزاد من صعوبة عدم اقتناعى بهذا الخطأ أنه قام على تحقيق الرسالة العذراء بعد ذلك أستاذان كبيران من أساتذة الأدب العربى ، نسباها ـ أيضًا ـ إلى إبراهيم بن محمد بن المدبر ، وتابعا النشرة الأولى فى هدا الخطأ الجسيم ، وقد رمزت لهذه النسخة « برسائل البلغاء » .

الطبعة الثانية : مصححة ومشروحة مع مقدمة مفصلة بالفرنسية عن فن الإنشاء ومذاهب الكتاب فى القرن الثالث ، بقلم الدكتور : زكى مبارك، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م.

وقد تابع الدكتور: « زكى مبارك » النشرة الأولى للرسالة العذراء فى نسبتها لابن المدبر ، كما تابعها أيضًا فى بعض التحريفات ، ولكنه للأمانة العلمية استطاع ـ فى بعض المواضع ـ أن يصحح جانبًا من الأخطاء ، بل إنه توصل بحدثه أحيانًا إلى ما هو مدون فعلاً فى الأصل المخطوط ، لا سيما إذا كان السياق يحتم ما ذكره ، أو تمكن هو من معرفة الصواب من خلال رواية الخبر فى بعض مصادر الأدب العربى ، وقد رمزت لهذه النسخة «بالرسالة العذراء» .

الطبعة الثالثة : نشرت ضمن كتاب : جمهرة رسائل العرب فى عصور

العربية الزاهرة ، الجزء الرابع ، الشطر الثانى من رسائل العصر العباسى الأول ، للدكتور : « أحمد زكى صفوت » ، طبع مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الثانية سنة ١٣٩١هـ =١٩٧١م.

وكان منهج الدكتور : « أحمد زكى صفوت » جمع الأصول المطبوعة للرسائل ، وتدوين النص المختار من جميع تلك الأصول ، وقد قاده هذا الأمر إلى الموازنة بين الرسالة العذراء والنصوص المنقولة عنها فى مصادر الأدب العربى ، حيث ظهر له أن جميع هذه النصوص منسوبة إلى إبراهيم الشيبانى، فاختار فى توجيه ذلك ، وقال : « ذكر الأستاذ (محمد) كرد على فى رسائل البلغاء أنه نقل هذه الرسائل من مجموع قديم من كتب الشيخ: « طاهر الجزائرى » ، وقد أورد صاحب العقد الفريد نحوًا من شطرها فى باب أدوات الكتابة ، وأخبار الكتاب ، غير أنه لم يوردها على النمط الذى ورد فى رسائل البلغاء ، بل تصرف كثيرًا بالحذف والزيادة والتقديم والتأخير ، وتراه يلقب « إبراهيم بن محمد بن المدبر » كاتبها «بالشيبانى » ، فيقول : قال : « إبراهيم بن محمد الشيبانى » ، وأورد القلقشندى فى صبح الأعشى فقرًا منها ، وكذا النويرى فى نهاية الأرب ، وكلاهما يلقبه بالشيبانى أيضًا ، والظاهر أنه ينتمى إلى شيبان بالولاء »[1] .

ويلاحظ من هذا التعليق أن الدكتور : « أحمد زكى صفوت » لم يتطرق إليه شك فى نسبة الرسالة العذراء إلى ابن المدبر ، وأنه تصور أن الشيبانى

---

(١) جمهرة رسائل العرب : ٢١٢/٤ من الهامش بتصرف .

لقب له ، ولم يدر بخلده أنهما شخصان لا شخص واحد ، وقد رمزت لهذه النسخة « بجمهرة رسائل العرب » .

وعندما توصلت إلى معرفة ذلك الخطأ أيقنت أن « الرسالة العذراء » بحاجة إلى تحقيق جديد ، يعتمد على الأصل المخطوط ، ويتحرى الدقة المتناهية فى قراءته ، وقد استعنت بالله على ذلك ؛ لأننى تعرفت بصورة جيدة على نوع الخط وطريقة كتابته بعد أن حققت بعض رسائل هذه المخطوطة [1] ، ثم استعنت فى إقامة النص بما نقل من الرسالة فى بعض مصادر الأدب العربى ؛ لأن هذه النقول قد تكون من أصل مخطوط أجود من هذا الأصل الفريد الذى وصل إلينا من « الرسالة العذراء».

« وفى العقد الفريد نص مهم منقول عن إبراهيم بن محمد الشيبانى، يتعلق بافتتاح الرسائل جاء فيه : « لم تزل الكتب تستفتح باسمك اللهم حتى أنزلت سورة هود ... » ، وأهمية هذا النص تتجلى فى كونه غير موجود فى الرسالة العذراء ، فهل يعنى هذا أنه نص آخر لا صلة له بالرسالة ، أو أن الرسالة سقط منها شىء؟ » [2] .

ولاشك أن عدم وجود نسخة أخرى « للرسالة العذراء » زاد من صعوبة

---

(١) من ذلك رسالة : مدح العدل وذم الظلم ، لأبى هلال العسكرى ، نشرت فى مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية العدد الثامن عشر سنة ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م ، ورسالة : ذم الكبر ، لأبى هلال العسكرى أيضًا ، نشرت فى مجلة كلية اللغة العربية بإيتاى البارود العدد السابع عشر سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م .

(٢) انظر : شعراء عباسيون : ٣٣١- ٣٣٢ ، ونص الشيبانى فى العقد الفريد : ١٥٨/٤ ، وصبح الأعشى : ٢١٩/٦ .

الحكم فى أمثال تلك القضايا ، ولكن يمكن القول إن النقول الموجودة من «الرسالة العذراء» فى مصادر الأدب العربى ساعدت فى إقامة بعض العبارات وتصحيح بعض التحريفات والتصحيفات.

من خلال كل ما سبق يمكن الجزم بما لا يدع مجالاً للشك أن « الرسالة العذراء» لإبراهيم بن محمد الشيبانى ، وليست لإبراهيم بن محمد بن المدبر، كما هو مشهور بين الدارسين ، للأسباب التالية :

١- أن الأصل المخطوط الفريد للرسالة العذراء مدون عليه نسبتها إلى إبراهيم بن محمد الشيبانى ، وأن الأستاذ : « محمد كر د على » أخطأ فى نقل اسم المؤلف فى نشرته الأولى للرسالة ، وسار على خطئه كل من نشر الرسالة بعد ذلك .

٢- أن جميع النصوص المنقولة من « الرسالة العذراء» فى مصادر الأدب العربى منسوبة إلى « إبراهيم بن محمد الشيبانى » ، وقد وردت هذه النصوص فى المصادر التالية :

- كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم : ٤٤-٤٥ .
- العقد الفريد : ٤/١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ٥/٣٩٣ - ٣٩٥ .
- نهاية الأرب : ٧/١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ١٨٥-١٨٨ .
- صبح الأعشى : ٢/٤٥١ ، ٤٥٧ ، ٣/٢ .

(هـ) دراسة مادتها :

تضمنت « الرسالة العذراء » كثيرًا من القضايا المتعلقة بكتابة الرسائل،

مما جعل لها مكانة بارزة بين العلماء والدارسين ، «لأنها رائدة فى صناعة الكتابة ، بل لعلها تخرج من حدود الرسائل إلى صنف المؤلفات ، إنها كتيب رصين بليغ فى فن صناعة النثر » [١] .

وكان من أبرز القضايا التى عرضت لها هذه الرسالة قضية «أوقات الإبداع الفنى» ، وما يفضل منها ، حيث قال « الشيبانى » متأثرًا بصحيفة « بشر بن المعتمر » [٢] : « وارتصد لكتابك فراغ قلبك ، وساعة نشاطك، فتجد ما يمتنع عليك بالكد والتكلف ؛ لأن سماحة النفس بمكنونها، وجود الأذهان بمخزونها ، إنما هو مع الشهوة المفرطة فى الشعر، والمحبة الغالبة فيه ، أو الغضب الباعث منه ذلك » [٣] .

ثم أخذ يعدِّد صفات الكاتب الجيد ، فقال فى ذلك: « والكاتب المستحق اسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة مَنْ إذا حاول صنعة كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من ينابيعها ، وظهرت من معادنها ، وبدرت من مواطنها ، من غير استكراه ولا اغتصاب » [٤].

« فإن تقاضَتْك نفسُك علمَها ، ونازعتك همَّتُك إلى طلبها ، فاتخِذِ البرهان دليلاً شاهدًا ، والحق إمامًا قائدًا ، يقرِّب مسافة ارتيادك ، ويسهِّل

---

(١) شعراء عباسيون : ٣٤٠ .

(٢) انظر هذه الصحيفة فى البيان والتبيين : ١/١٣٥ - ١٣٩ ، وكتاب الصناعتين : ١٤٠ - ١٤١ ، والعمدة : ١/٢١٢ - ٢١٤ .

(٣) انظر الفقرة رقم : ٤٧ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الفقرة رقم : ٦٣ من هذه الرسالة .

عليك سبل مطالبها ، واستوهب الله توفيقًا تستنجح به مطالبك ، واستمنحه رشدًا يقبل إليك بوجه مذاهبك » [١] .

و « إن أردت خوض بحار البلاغة ، وطلب أدوات الفصاحة ، فتصفَّح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه، فى تلقيح ذهنك ، واستنجاح بلاغتك ، ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به منطقك، ويعذب به لسانك ، ويطول به قلمك .

وانظر فى كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب ومعانى العجم وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم .... بعد أن تتوسط فى علم : النحو، والتصريف ، واللغة ، والوثائق والشروط » [٢] .

كما وضع « الشيبانى » بعض الضوابط والشروط لما يجب أن يتحلى به الكاتب ، منها : « أن يكون الكاتب صحيح القريحة ، حلو الشمائل ، عذب الألفاظ ، دقيق الفهم ، حسن القامة ، بعيدًا عن الفدامة ، خفيف الروح، حاذق الحس ، محتنكًا بالتجربة ، عالمًا بحلال الكتاب والسنة وحرامهما ، وبالملوك وسيرها وأيامها ، وبالدهور فى تقلبها وتداولها ، مع براعة الأدب وتأليف الأوصاف ، ومشاكلة الاستعارة ، وحسن الإشارة ، وشرح المعنى بمثله من القول » [٣] .

---

(١) انظر الفقرة رقم : ٤ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الفقرة رقم : ٥،٦ من هده الرسالة .

(٣) انظر الفقرة رقم : ٧ من هذه الرسالة .

ومنهـا ـ أيضًـا ـ « أن يكون (الكاتب) بهيَّ الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان، رقيق حواشى اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك ، مستفره المركب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ، متفاوت الأجزاء، طويل اللحية عظيم الهامة ، فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة » (١) .

ثم قدم النصح إلى الكتاب بضرورة عرض نتاجهم على أهل الخبرة فى هذا الميدان ، فقال : « فإذا منيت بحب الكتابة وصناعتها ، والبلاغة وتأليفها ، وجاش صدرك بشعر معقود ، أودعتك نفسك إلى تأليف الكلام المنثور .. فلا تدعونَّك الثقة بنفسك ، والعجب بتأليفك أن تهجم به على أهل الصناعة ، فإنك تنظر إلى تأليفك بعين الوالد لولده ، والعاشق إلى عشيقته.. ولكن اعرضه على البلغاء والشعراء والخطباء ممزوجًا بغيره، فإن أصغوا إليه .. فاكشف من تلك الرسالة والخطبه والشعر اسمه ، وانسبه إلى نفسك ، وإن رأيت العيون عنه منصرفة ، والقلوب عنه لاهية ، فاستدل به على تخلفك عن الصناعة وتقاصرك عنها » (٢) .

كما أوصى الكُتَّاب بضرورة مراعاة أحوال المخاطبين ومنازلهم ودرجاتهم، فقال : « وخاطب كلاً على قدر أُبَّهته وجلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وتفطنه

---

(١) انظر الفقرة رقم : ٧ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الفقرة رقم : ٥٩ من هذه الرسالة .

وانتباهه ، واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام ، فأربعة منها للطبقة العلوية ، وأربعة دونها ، ولكل طبقة منها درجة، ولكلٍّ قسمةُ حظٍّ لا يتسع للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ، ويَقْلِبَ معناها إلى غيرها » (١) .

« ولا تخاطبن خاصًا بكلام عام ، ولا عامًا بكلام خاص ، فمتى خاطبت أحدًا بغير ما يشاكله فقد أجريت الكلام غير مجراه .. فلا تخرجن كلمة حتى تزنها بميزانها ، فتعرف تمامها ونظامها ، ومواردها ومصادرها، وتجنب ما قَدِرْتَ الألفاظ الوحشية، وارتفع عن الألفاظ السخيفة ، واقتضب كلامًا بين الكلامين » (٢) .

مع الدقة فى تخير الألفاظ والمعانى المناسبة للسياقات والمقامات ، يقول الشيبانى : « وإن حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب ، فزِنِ اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عَرَضَتْ .. وأدر الألفاظ فى أماكنها ، واعْرِضْها على معانيها ، وقلبها على جميع وجوهها ، حتى تقع موقعها ، ولا تجعلها قلقةً نافرةً ، فمتى صارت كذلك هَجَّنتَ الموضع الذى أردت تحسينه، وأفسدت المكان الذى أردت إصلاحه ، واعلم أن الألفاظ فى غير أماكنها ، والقصد بها إلى غير مظانها إنما هو كترقيع الثوب الذى إذا لم تتشابَهْ رقاعه .. تغير حسنه » (٣) .

---

(١) انظر الفقرة رقم : ٨ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الفقرة رقم : ٦٠ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الفقرتين : ٤٥،٤٦ من هذه الرسالة .

« والمعانى وإن كانت كامنة فى الصدور ، فإنها متصورة فيها ، ومتصلة بها ، وهى كاللآلئ المنظومة فى أصدافها ، والنار المخبوءة فى أحجارها ، فإن أظهرتها من أكنانها وأصدافها تبين حسنها .. وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفى بالروح الخفى ، واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر ، وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف لفظ شريف جزل ، لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام متسقًا ، وتضاءل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتضاؤل الحسناء فى الأطمار الرثة » (١) .

« وكلما احْلَوْلى الكلام وعذب ورق وسهلت مخارجه ، كان أسهل ولوجًا فى الأسماع ، وأشد اتصالاً بالقلوب ، وأخف على الأفواه ، ولاسيما إذا كان المعنى البديع مترجمًا بلفظ مونق شريف ، ومعبَّر بكلام مؤلف رشيق ، لم يشنه التكلف بميسمه ، ولم يفسده التعقد باستهلاكه» (٢) .

« والمعانى كلها ممتثلة ، والكلام مشبع ، ولكن سياسته صعبة وتأليفه شديد ، إلا على جهابذته ، وفرسانه أمراء الكلام ، يصرفونه كيف شاءوا ، ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، ويكون اللفظ أسبق إلى الأسماع من معناه إلى القلوب » (٣) .

---

(١) انظر الفقرة رقم : ٧٤ وأيضًا الفقرة : ٥٦ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الفقرة رقم : ٦٦ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الفقرة رقم : ٧١ من هذه الرسالة .

وبهذا تكون « الرسالة العذراء » قد وجهت الكتاب إلى الطريقة المثلى لكتابة الرسائل النثرية ، من قبل البدء فى كتابتها ، وذلك بمراعاة اختيار وسائل الكتابة المناسبة ، ومعرفة طريقة إصلاحها وتهذيبها ، ثم إبراز فضيلة حسن الخط ، وضرورة مراعاة أساليب الصياغة الفنية ، من اختيار الألفاظ الجيدة ، والمعانى المناسبة ، مع التنويه على أهمية تأريخ الكتب.[1] لما فى هذا التأريخ من منافع متعددة فى تحقيق الأخبار ومعرفة تاريخها .

---

(١) انظر فى ذلك الفقرة رقم : ٣٩ من هذه الرسالة .